الجامعة المستنصرية المرحلة الثانية/الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : مناهج المفسرين

قسم اللغة العربية الدكتور إسماعيل عباس حسين

منهج تفسير القرآن بالقرآن (3)

ومثال آخر : قوله تعالى في سورة الفاتحة :" اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" (الفاتحة 6-7) فمن هم المقصودون من قوله : الذين أنعمت عليهم ؟ الذين ندعوا الله أن يهدينا سبيلهم ، وإذا رجعنا إلى القرآن نستوضح المعنى نجد قوله تعالى :"وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" (النساء 69) فالآية تسمي أربع طوائف من الناس ، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، باعتبار أنهم الذين أنعم الله عليهم ، ثم تقول ترغيباً للآخرين : وحسُن أولئك رفيقا، والطريق إلى رفقتهم والكون معهم هو طاعة الله تعالى وطاعة نبيه الكريم .

وهذه أمثلة على هذا المنهج وغيرها كثير ؛ وهذا لا يعني عدم وجود منهج آخر لتفسير آيات القرآن غير تفسيرها بالآيات الأخرى ، بل أنّ المراد من هذا المنهج هو أنه يتعين الإفادة من القرآن نفسه لرفع اللبس عن الآيات المبهمة مهما أمكننا ذلك وطالما فهمنا مدلول الآيات وأدركنا ارتباطها ببعضها بشكل واضح ، فهناك آيات إذا وضِعت إلى جانب بعضها الآخر وجدناها تشير الأخرى وتفسرها ، وهذا \_أيضاً\_ لا يعني بالضرورة أننا كلما أردنا فهم آية من القرآن فإنّ علينا التفتيش عن آية مفسِّرة لها ، فقد يكون معنى آية ما واضحاً تماماً وليس بحاجة إلى آية مفسِّرة وفي المقابل فقد يُحاط معنى آية ما بالضبابية مما يُحتم علينا الرجوع إلى الآيات المحكمة ، فإن لم نعثر على آية تبين معناها ، لجأنا إلى مناهج أخرى لبيان معنى الآيات الكريمة .

ومن أبرز التفاسير التي سارت على هذا المنهج بشكل واضح وجلي هو تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطبطبائي المفسر الشهير الذي ذاع صيته في أيامنا هذه ، لما بذل من جهد كبير في خدمة القرآن الكريم ، إذ أغنى المكتبة القرآنية بتفسير فريد من نوعه وبابه ، فقد اعتمد الطبطبائي بشكل أساس على القرآن نفسه في استنطاق آياته والوقوف على معانيها ومعارضة الآيات المناظرة لها والافادة منها ، وكان للسياق أثرٌ واضح في الميزان باعتباره أحد القرائن الحالية على فهم الكلام ، واعتبره دليلاً للفصل بين الآيات المكية والمدنية وفي تحديد معنى بعض الألفاظ القرآنية المبهمة ، وتعرض الطبطبائي لمناقشة آراء المفسرين والترجيح بينها مستعيناً بالنصوص القرآنية وما تؤديه هذه الآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر.